

كتاب منبوذ

أنور كامل

الى أعداء هذا الكتاب

« لماذا بحقيقة نفسك تبرم .... »

« هؤلاء اللصوص يأوون دائماً الى الكهوف »

هجم عليها صائحا : هذا النور شد ما أبغض لونه

وهوى على جسد يتلوى من الألم تحت

ضربات السوط

قالت : بالرغم من هذا أحبك

ولكنه لم يشفق وصاح بها : اغربى عنى . إن

فهوى على وجهها بالسوط
قالت : لذا أحبك !
فهوى على وجهها بالسوط
قالت : بل كلما تمعن فى هذا أمعن فى حبك
ألقى السوط صائحاً : إنى أكاد أجن . اذهبى .
إنى أكاد أجن
ـــ ماذا أستطيع إذا كانت الشمس فى كبد السماء؟
ـــ أكاد أختنق . أكاد أختنق . اصنعى الظلام
ياحبيبتى إذا أبطأت الشمس
فأغلقت النوافذ وأسدلت الستائر جميعاً
قال : إننى أشعر بأننى أدنو منك . لماذا أنت
صامتة ؟
قالت : ماذا تريد أن أقول ؟ إننى أحبك

ــ وانا ايضاً
ــ لماذا تقسو على اذن ؟
ــ لا أدرى . كأنى بهذه الضربات تؤلم جسدى
ــ فاذا أقبل الصباح تمقتنى بقدر حبك لى
إذا احتواك الليل
ــ إن هو إلا شبح هائل مخيف هذا الصباح
اللعين
ــ لماذا ؟
ــ لو بقى علينا هذا الليل . اصنعى الظلام
يا حبيبتى اذا أبطأت الشمس تجدينى عند
قلبك كعابد يجود بنفسه
وسرت أنفاسه اليها مثيرة،وعصفت بها فاختلج
جسدها يشتهى أمراً

وأخذ عنها رداءها فبـدت أمامه عارية كمرمر
وردى جميل
ودنا منها بأنفاسـه المحترقة قائلا : اقتربى منى
ياحبيبتى . لقد نسيت فيك ما عداك . فى الوجود
الذى يحيط بك علمتنى أن أنسى الحياة جميعاً
الا أنت
قالت : أنفاسك ياحبيبى قاسية كضربات السوط
قال : لماذا تعيدين على ذكراه ؟ انه يصور لى
النهار
ـ ماذا تعنى؟
ـ إن هو الا هذا السوط فى يدى أهوى به
على جسدك الجميل
ـ لا أفهم

ـ شد ما أحب لون الظلام !

ـ لماذا ؟

ـ لا أدرى . هو فى طبيعتى

ـ لا أظن

ـ أنه يكسب الأشياء جمالا

ـ أن هذا الدم لا يسيل من جسدى عبثاً . فى الأمر ما هو أخطر من هذا

ـ أنه يحيطها بسياج من الغموض كقناع المرأة تماماً يخفى عيوبها

ـ ليس هذا . لقد بدأت أفهم . إن هذه اليد لا يمكن أن تحمل من نفسها هذا السوط . إن قوة هائلة هى التى تسخرها

ـ أى قوة ؟

– هل تدرى اللصوص لماذا يحبون الظلام ؟
– لأنه الوقت الأصلح
– كذلك أنت
– ما أنا بلص
– إنك تسرقنى . تسرقنى أنا !
– لقد جئت بقدميك
– أعرف
– فما سرقتى لك؟
– انتى فاكهة شهية ما يحجبك عنها وضع . بل كلما حجبوها عنك زدت بها افتتاناً . أنت لص . أنت لص كبير . ولـكن لا كاللصوص
– ما الفرق؟
– إنك تسرق منهم حقك الطبيعى

— أى حق ؟

— أنا

— ولكن لا يسرق اللصوص دائما فى الظلام فما كراهيتى للنور؟

— إن السرقة قد تكون سهلة فى الشمس لأن العيون لا تتفتح الا فى الظلام . اللص الماهر هو الذى يعرف هذا . هل تدرى ؟

— ماذا ؟

— إنك كنت كالأرض الظمآى . أنا الماء . ولكنك كنت تعتقد أنك اذا رويت بى فالاثم هناك

— كيف ؟

— هذا الاثم الذى فاق اللذات جميعا . إنه فى صدرك مقرون بالكراهية .

ـــ أى كراهية ؟

ـــ التى تلازم كل ما نعتقد أنه خطيئة . لقـد
قلتها بنفسك

ـــ ماذا قلت ؟

ـــ أنك نسيت فى ما عداى

ـــماذا تعنين ؟

ـــ إن هذه اللذة تعمينا عما عداها . كذلك أنت

ـــ لا أفهم

ـــ إذا انتهيت منها عادت صورتها فى مخيلتك
قذرة ملوثة

ـــ وما ذنبك أنت ؟ .

ـــ إنك تزدرى هذه اللذة . إن هذه الكراهية
تنتقل منها الى

– لماذا ؟
– لأنى أنا حافزة هـذه اللذة . قلت ان قوة هائلة هى التى تسخر هذه اليد .
– أى قوة ؟
– صوت المجتمع العالق فى قلوبنا . إننى واثقة من أنك كنت تـكره نفسك أيضا . بل لا أنا وأنت فقط . إنك تـكره هذا الفراش وهذه الجدران . هل تدرى كيف تـكرهها؟
– كيف ؟
– تـكرهها وتمقتها بقدر حبك لها فى اثنـاء اتيان هذه اللذة . جبن كان يذللك من قديم ؛ حرية قيدوك عنها فلجأت اليها فى الظلام . أصبحت فى نفسك مقرونة به فعـادت

لا تحتمل النور لأنه يذكرك بهذه الصورة
البغيضة . هذا هو السر

— فهمت

— ماذا عليك لو سرت لا تبالى فى مجرى حياةٍ
كلمة انا فيها هى الدين ؟ انك ستحب النهار
لو جعلت نفسك الاله الذى به تدين .
كاللصوص نحن لذا نحب الظلام . لماذا
بحقيقة نفسك تتبرم ؟ هؤلاء اللصوص
يأوون دائما الى الكهوف

فنهض مسرعا . وجعل للشمس شعاعا فى الحجرة
وألقى السوط بعيداً عنه . ونسى نفسه فى النار
التى تتأجج بين ذراعيه

« خذ هذه القبلة . . . »
« انها تحوى سر الحياة »
« فقط لمن يريد أن يفهم »

مرت بانامها الرقيقة على أعضائه تتلمسها
قال : دعيني دعيني . لقد طاف بى فى الليل
طائف يدعونى
قالت : إلام ؟
قال : لقد ارتفع بروحى عن هذه الأرض

الملوثة. لقد فكرت طويلا يا حبيبتى

ــ فيم ؟

ــ فيك

ــ فىّ ؟ فىّ أنا وأنا من هذا التراب ؟ إن أناملى لا تحركها السماء. إنها وليدة الأرض. إنها بنت هذا الطين

ــ أنت واهمة

ــ من منا الواهم ؟

ــ الحقيقة أن فينا من السماء كما فينا من تراب الأرض. كم فكرت لو تخلصنا منها وارتفعنا إلى السماء معاً

ــ السماء؟ أين هى؟

ــ لا أدرى. ولكنى أعرف أنها أرض

الملائكة. لقد تعلمت منك. لقد تعلمت منك!

ــ ماذا تعلمت ؟

ــ أن أعبد الجمال لذاته . إن هذه الأنفاس لتطهرنى من خطايا البشر. إن هذه الدموع لتغسل قلبى من أدران الجسد. ارفعى عنك هذا الرداء ياحبيبتى. إنه يحجب عنى جمالك ويتركنى فى ظلمة

رفعت رداءها قائلة: ألا يغريك هذا الجسد ؟

قال : إن الشهوة فى نفسى تفنى أمامه ياحبيبتى. لقد وضع الله فيك الجمال وركزه. ما أستطيع القرب منك ونور السماء يتفجر منه كأنه ينبوع

قالت : لماذا ؟

ـ ما خلقنا إلا للسجود . أنتِ الآله

حاولت ولكن عبثاً . فرفعت عنه يديها وابتعدت

قال : لماذا تبتعدين ؟

قالت : ما أبتعد عنك إلا لفرط حبي

ـ خداع

ـ هل تعرف ؟

ـ ماذا ؟

ـ لقد بلغ الايمان . فى كل شىء أراه صورتك . فى دمى أنت . ولكن روحك فقط . فى كل حركة تصدر عنى شىء واحد . أنت هو الباعث . إننى أبتعد عنك لأنى أريد أن أتحرر من كل ما هو جسد

ـ أراك تقتربين

ـ فقط سأعطيك قبلة الفراق

ـ الفراق!

ـ إنني ذاهبة في رحلة قد تطول

ـ وأنا؟

ـ تبقى هنا. ما يحول بيني وبينك حائل. أليس لها أجنحة؟

ـ من هي؟

ـ روحك المنزهة عن الزمان والمكان. إنها تجوب الأرض والسماء في سبيلي. ما يعنيك أن تراني بعينيك؟ خذ هذه القبلة. إنها تحوي سرّ الحياة. فقط لمن يريد أن يفهم. عند ما أعود إليك تكون قد قرأت

ـ قرأت ماذا؟

ـــ هذا الكتاب بيديك
وتركته وسارت

وقف كالمجنون يصيح: ليست هى. ليست هى.
إن هذه العين لا يمكن أن تكون صادقة
سمعها من داخل القبر تقول. إنها صادقة.
أنت الكاذب. اقرأ
قال : ماذا أقرأ؟
قالت: هذه الكلمات المنقوشة على هذه الأحجار
ـــ ليست الحقيقة. ليست الحقيقة
ـــ أقرأها أنا إذن
ـــ لا أريد أن أسمع

ولكنها رددت : دخلت في القبر الذى صنعته
يديها بعد أن وهبت جسدها لكل رجل
فى المدينة ليلة
قال : إلا أنا . إلا أنا
قالت : أنت . من أنت ؟
ـــ أنا أنا
ـــ أعرف أنك لست آدمياً . ما من أرض
الشياطين أنت
ـــ لقد استنفذوا حياتك منى أنا
ـــ أنت الذى وهبتنى إياهم
ـــ هذا الجسد الذى تدنس بالخطيئة
ـــ ليست خطيئة فى أرض الشياطين
ـــ إننى بدموعى أغسل الترب الذى يحويك

ـ دموع الملائكة أم دموع الشياطين ؟

ـ ويلى من مجنون ! ما هذا الصوت المنبعث
من سكون الليل البهيم ؟

ـ إنه صوتى . صوتى أنا . لقد بدأت ترانى .
ما هذا الصوت الذى يجيبك إلا أنا فيك .
كنت قد أعطيتك كتاباً

ـ لم تبق منه غير صفحة واحدة

ـ إقرأها

ـ الدنيا ظلام

ـ وراء الغيوم قمر

ففتح الكتاب على ضوئه يتلمس الكلمات
وأغلقه فجأة . وجعل يصيح : كنت أعرف .
كنت أعرف . كنت أعرف !

قالت : ماذا ؟

قال : إنني أحس أناملك تمر كنسيم ملتهب،
على جسدى . هذا طيف . هذا طيف

ـ أى طيف ؟

ـ لماذا تنطبق يداى على الفضاء؟ إن صوتاً
يلم بى . من ذا الذى ينادينى ؟

ـ أنا

ـ بل أنا الذى بالوهم أخلق هذا النداء

ـ هى الحقيقة . لا تعبأ

فسار نحو القبر . وجعلت أصابعه تنبش،
فى التراب

قالت : أرى تلك اليد ترتجف . لماذا تخاف ؟

قال : ما أخاف وهذا السيف بيدى . ابتعدى،

عنى أيتها الأرواح الشريرة . خذ هـذا أيها
الضمير بالفضيلة التى فيك
ودخل القبر
وخرج يحملها على يديه
وضعها على الأرض وجلس إليها يقول :
ارفعى عنك هذا الرداء ياحبيبتى . إنه يحجب
عنى جمالك ويتركنى فى ظلمة
وكان جسدها لا يزال كالمرمر النابض
فاقترب منه بأنفاسه المحترقة واعتمده بين ذراعيه

« القانون نحن. الشرائع نحن. الدين نحن. »

« المجتمع هو الشاذ. الفرد هو الطبيعى »

نظر إليها فى إشفاق قائلا : فيم هـذه الدموع ؟
لقد كانت الريح ترتطم بأوراق الشجر فيسقط
من الرعب قلبك
قالت : لقد مرت الأيام واعتـدت ما كنت
أخاف . إننى أطلب المزيد

قال : على الشاطىء ألقت بك العاصفة . جزيرة خاوية ليس فيها حياة . من الأغصان صنعنا الكوخ

ــ إن نفسى تطلب المزيد

ــ عند ما شعرنا بالجوع صنعنا القوس نطارد به الفريسة

ــ إننى لا أرضى بالقليل . كم من مرة رأيت كالأمل سفينة تمضى سريعاً . إننى تركت مظاهر المدينة جميعاً . ولكنى بقيت بحقيقة واحدة

ــ أى حقيقة ؟

ــ ما الفائدة من حياة فى جزيرة خاوية لا يهتم بى فيها أحد ؟

ـــ إننى أهتم بك كنفسى

ـــ أعرف. ولكن لا كما أريد

ـــ ماذا تريدين ؟

ـــ إننى أراك بعيداً عنى بقدر قربك منى

ودنت منه هامسة : هل تدرى ؟

قال : ماذا؟

قالت : إننى أحب هذه الجزيرة

ـــ وقد كنت ترقبين الشاطىء بغير جدوى

ـــ غالباً ما تنطق شفتا الانسان بغير الحقيقة

ـــ لماذا ؟

ـــ لأنى كنت واثقة من الانتصار

ـــ أى انتصار ؟

ـــ فى هذه الجزيرة الخاوية

– ماذا تعنين؟

– أنظر إلى عيني

رفع إليها بصره متردداً

قالت : ماذا رأيت ؟

قال : أرى فيهما سراً

– ما هو بسر

– إن فى هذا الصفاء إيماناً . إنك تقدمين على أمر هائل

– إنك ترى فيهما ما أقرأ فى عينيك . إن فى هذه الحركات القلقة قوة مترددة داخل نفسك

ودنت منه حتى مرت به أنفاسها

قال : إنها شهوة . إنها شهوة هائلة لا يردعها جزاء

قالت : ماذا ترى فى شفتى ؟

ــ إننى أسمع منهما همساً خفيفاً كأنه النداء

يقول قبلنى

ــ فى أناملى الرقيقة؟

ــ كل كيانك الماثل أمامى يتأجج بنيران

شهوة جامحة

ــ مايقصيك؟

ــ هذا الدم الواحد الذى يجرى فى عروقنا

ــ ليس أنت الذى يتكلم

ــ من إذن؟

ــ هل تدرى الآن من تكون؟

ــ لا أدرى

ــ إنك كالانسان الأول . ولكن هناك فرق

ــ أى فرق ؟

ــ فى هذه الجزيرة الخاوية التى تعود بك إلى الحياة الأولى . إنها بقايا المدنية التى تتكلم. ليس أنت

ــ لا أفهم

ــ كلما مر بنا يوم انمحت طبقة من طبقاتها العالقة بهذا القلب . إنك تستيقظ . إنك تستيقظ . هذا الحجاب يجب أن يزول

ــ أى حجاب ؟

ــ الذى يحول بينى وبينك

ــ ولكنى أخاف

ــ ماذا. تخاف ؟

ــ القانون

ـ أين القانون؟

ـ والناس

ـ أين الناس ؟

ـ والدين

ـ أين الدين؟

ـ إن قوى هائلة تتعامل فى نفسى . أى شيطان أنت ؟ إننى لا أخطو خطوة واحدة حتى أرتد بها إلى الخلف

ـ نحن الآن فوق القوانين والشرائع جميعاً . نحن قانون أنفسنا . القانون نحن . الشرائع نحن . الدين نحن

ودنت منه واحتوته فى صدرها هامسة :

هل تذكر ؟

قال : ماذا ؟

ــ عرفت هذا من اليوم الأول

ــ أى يوم ؟

ــ عند ما كنت أحتمى فى أحضانك وأطمئن بين ذراعيك كلما طرق أذنى صوت طارىء أو تراءى لعينى شبح ملم

ــ ماذا عرفت ؟

ــ أن الشرائع والقوانين أوهام خلقها المجتمع . هل تدرى ؟

ــ ماذا ؟

ــ عرفت أنك رجل وأنى امرأة . إنى أكره كل ما هو شاذ

ــ فما صلتى بك ؟

– هل تدرى الانسان ممّ يستق القوانين ؟

– مم ؟

– من الطبيعة . ولـكنه يضل الطريق أحياناً

– كيف ؟

– إنه هو الذى يضع أفعالنـا داخل حدود هذه القوانين . إنه ينبذ الفرد الذى يخرج عنها حتى ولو تعارضت مع الطبيعة

– كيف تتعارض معها وهى مستمدة منها ؟

– قلت إن الانسان يضل الطريق أحياناً . المجتمع فى هذه الحالة هو الشاذ . الفرد هو الطبيعى . هذا هو السر فى هذه الحرب الهائلة

– أى حرب ؟

– بين الانسان كفرد مستقل وبين المجموع .

هل تدرى الأفرادمتى يثورون على المجموع ؟

— متى ؟

— إذا شذت قوانينه عن الطبيعة

وجذبته نحوها وجعلته ينسى نفسه على صدرها

كلما رددت فى أذنيه :

إرضاء لنفسى قد اكتسحت فى ضميرى القوانين

والشرائع جميعاً . كنت أرى فى عينيك .

ولكنك كنت تخفى . اليوم فقط عرفت

قال : ماذا عرفت ؟

قالت : إن الطبيعة هى التى تنتصر دائماً

تعلقت بساقيه كالمجنونة تقول . انظر . انظر

قال : ماذا ؟

ـ المدينة فى حلك الليل تبدو من بعيد

ـ أين ؟

ـ هناك

قال مشدوهاً : ما هذا الدم ؟ أين‌هو ؟ أين هو؟

ـ لقد تركته طعما للأسماك

ـ إبعدى عنى أيتها الشريرة صوت الجريمة
التى تنطق بها يداك

ـ ما قادنى إليها إلا أنت . لقد شعرت نحو
المدينة بالحنين فقدتنى إليها على أول
سفينة جنحت إلى الشاطىء . ماذا فعلت ؟
ماذا فعلت ؟

ـ جريمة ينالها القانون

ـــ ما فعلت إلا ما أملاه علىّ المجتمع . لقد
اقتربت من المدينة فشعرت بأنى أرزح
تحت عبء القوانين والشرائع جميعاً . إنها
هى التى لوثت بالجريمة أناملى

وجعلت تبكى . فدنا منها مخففاً عنها . ولكنها
دفعته فى قسوة قائلة : ابتعد عنى . ابتعد عنى
أيها البغيض . لو استطعت فيك ما أتيت
فى طفلى لكان أهون علىّ
قال : ماذا عليك ؟ إنه سر لا يعرفه إلا أنا وأنت
قالت : الناس والقانون والشرائع ترمقنى
جميعاً . اليوم فقط عرفت
ـــ ماذا عرفت؟
ـــ أننا خاضعون لقيود الاجتماع واوضاعه
بالرغم منا

« حرية هذه يا حبيبتى »
« لماذا أنا وأنت نخضع »
« هم عيد . . . . . . »



رفع بين يديه رأسها . فانتابها نسيان فى رحيق
كالجمر من شفتيه
عادت إليها نفسها فتخلصت فى لين
قال : إننى أكره هـذا التمثيل . إننى أكره
هذا التمثيل

قالت : أى تمثيل ؟

ــ أرى الرغبة فى عينيك قوية صارخة . إن كل حركة من حركاتك تدل على الخضوع والاستسلام

ــ أنت متطلع لا يقنع بشىء

ــ لقد كنت بين يدى

ــ أسيرة تحب الحرية

ــ إن حياتنا مقررة بنا وبالوجود الذى يحتوينا ليس هناك حرية مطلقة .

ــ ماذا تعنى ؟

ــ إن لهذا القلب يداً قوية . الحرية لك فى هذه القيود أيتها الخادعة . إنك إذا حرمت منها قضيت حياتك سجينة

ـــ هذا خيال

ـــ هل تدرين الشريد لماذا يحب السجون ؟

ـــ لأنها مرتع خصيب لمن لا يجد مأوى

ـــ كذلك أنت

ـــ ولـكنك تنسى شيئاً

ـــ ما هو ؟

ـــ هذا المجتمع

ـــ إنها كلمات جوفاء لها طنين

ـــ أى كلمات ؟

ـــ هذه الرجفة التى تختلج بها أعضاؤك لا يمكن أن تنبعث إلا من خوف

ـــ مم أخاف ؟

ـــ لا يزال هذا الصوت يقصيك بقدر هذه

الرغبة المتأججة فى كل ذرة من كيانك

ـ أى صوت ؟

ـ إننى سأشهد حتما نهاية هذه المعركة

ـ أى معركة ؟

ـ إنك فى حرب هائلة لا كالحروب . ما أرى فيها نقطة دم واحدة . ومع ذلك فهى أشد هولا

ـ أى حرب ؟

ـ بينك وبين هذا الضمير

وجذبها إليه فى قسوة قائلا : إننى أسمع نداء هذا القلب

قالت : ماذا تسمع ؟

قال : ما أشق انتظارك على سر حبك للحياة !

لن يقصينى عنك حائل حتى ولو اجتزت
الطريق على القتاد

ـــ دعنى . أنت لا ترى

ـــ هذا الكتاب بيديك

ـــ أى كتاب ؟

ـــ أرى فيه كلمة الدين

ـــ ستنالنى ولكن فى طريق مشروع

ـــ إن بين هذه الضلوع حجرة زاخرة

ـــ بماذا ؟

ـــ لماذا لانخلص الضمير من الدين والناس ؟

ودنا منها فى بطء . ولكنها ابتعدت عنه قائلة :
عيناك يغمرهما بريق جديد أخاف منه
قال : بريق شهوة تعانين منها فى نفسك الانكار

قالت : ابتعد عنى . أنت شرير . أنت شرير
كامن فى ملاك

قال هامساً : ماذا علينا لو عرفنا كيف كنـا .
من هذا نحن جئنا

قالت : تبتغى اللذة

ــ ككل كائن . حرية هذه يا حبيبتى . لماذا أنا
وأنت نخضع ؟ هم عبيد

ــ وأنت يا عبد نفسك

ــ حرية أن أكون عبد نفسى

ــ كحيوان

ــ لماذا لا أجاهر بها وأتحرر منهم ؟

ــ أنانية

ــ هل تعرفين إله هذه الأرض كيف يكون ؟

ـ أعرف

ـ وجود فى رأس إله غير هذا الاله لست منه

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أنا ابن هـذه الأرض لا أرضى إلا بها.
أنانية نحن حتى عند ما من الاسراف
فى التضحية نموت

ـ همجية تلك التى تجرى وراءها

ابتعد عنها قائلا فى استدراج : غنى لى من
قلبك لحناً

قالت : ماذا يعنيك ؟

قال : أن أرتفع عن المادة وأتحرر من الجسد

ـ أراك تتنصل من حيوانيتك

ـ فقط كنت أسبر غورك. غنى غنى يا مدنية
لها دين

فبدأت تغنى وهو يردد :
غنى لى يا همجية من قلبك لحناً
انطلق انطلق. فوضى بين نظام. جنون بين عقل
هكذا يا همجية لحنك
هو يحوى كل لحن كان
وكان صوتها يرتفع :
وجدوها عارية على عشب يابس
همجية ألبسوها رداء المدنيـة .
قالوا لها ليس لقلبك أن يحب
وبدأت ترقص وهو يردد :
أطلق شـعرك يا همجية يتهدج على كتفيك
كطير مذبوح .
انطلق انطلق . لمـاذا على الأرض طرقات

قدميك تنبثى بنظام ؟
هكذا يا همجية رداؤك تطلقه الريح .
عارية أنت كما وجدت على عشب يابس
جسدك ينتفض كشباب فى مرجل مكتوم
دعى فى كل أرض عينيك لا فى النجوم
وسقطت على الأرض وأخذت رأسه على
صدرها المتهدج وشفتاه تغمر ما بين ثدييها بالقبل
وهى غافلة فى حقيقة قام فيها وهم : لا تلمس
هذا الجسد العفيف
ولكنه لم يسمع
قالت : لا أتصور نفسى . سحقاً لى !
ولكنه لم يسمع
قالت : يتلطخ جسدى الجميل بالقبح والدنس .
يتحمل بخطايا البشر

قال : من الناس

ـ تتهكم اليوم وتنظر إلى غداً بازدراء

ـ أتبكين ؟ صوت ضئيل يدوى فى أذنيك

كما لو كان دوى ناقوس كبير

ـ ما قيمة الانسان بغير الضمير ؟

ـ خلق الضمير ليمتلىء بخرافات الناس وأوهامهم

ـ بل صوت السماء هو فى هذه الأرض

ـ قطرة قطرة من كلمات الناس يتكون

ليتحكم فى طبيعة العبيد . حرة أنت حرة .

كربيع طلق وجهك يشرق . لقد رفعت

عنك ثوب الذل والعبودية

ـ أنفاسك ياحبيبى تحرقنى . لقد حملت ضميرى

بعيداً عنى واستسلمت لخطيئة لا يمكن أن تقاوم

ــ أنفسنا على أنقاض بنـاء مهـدوم نبنى .
هل سمعت ؟
ــ ماذا ؟
ــ أحجار تنهار
ــ أى أحجار ؟
ــ بناء المدنية يا مدنية لها دين
فضغطت عليه بيديها قائلة :
فى صرامة وقسوة يا حبيبى ضمنى إليك .
دعنى أحس بأن أعضائى تتـكسر تحت عضلات
سـاعديك الصلبة .
أحبك اليوم أكثر مما كنت أحبك .
بل لم أحبك إلا هذه اللحظة فقط
طائعة بين يديك هأنا يا حبيبى .

إلى نهايتها هذه الشهوة المجنونة لن تصل.
لا أريد ياحبيبى هذه الحركة السريعة التى تخمد
بعدها كل لذة.
جسدى يلمس جسدك.
لا تخض غمار هذا المكان.
لا تعكر هدوء هذه اللذة بحركة سريعة.
دعنى كالمرجل من الداخل أغلى.
لا ترفع غطاء هـذا المرجل المجنون فينطفىء
كل شىء.

« ما حب العذارى عندى سوى شهوة بطيئة »
« أنانية هو أقوى من الأنانية .... »
« شهوة هو أقوى من الشهوة .... »

نظرت إليه فى ارتياب قائلة : لقد زهدت فى
قال : أنت واهمة
قالت : لماذا إذن تقصينى ؟
ــ ما أنظر إلا إليك ولكن لا فى هذا الجنون
ــ لقد سبرت غورك

ـــ ماذا فهمت ؟

ـــ إن قوة هائلة قد استيقظت فى نفسك لأنها تحب الانتقام

ـــ أى قوة ؟

ـــ صوت قوى صارخ كان قد نام

ـــ أى صوت ؟

ـــ ضميرك الذى كنت قد هدمت فيه القوانين

ـــ لقد أعدته إليهم

ـــ من هم ؟

ـــ الذين غرسوه فى نفسى دون وعى منى. ليست هدية التى تأتينى برغمى . ما كان قد نام . إنه مات

ـــ وظل مكانه خالياً ؟

ـــ ماذا فهمت ؟

ـــ إن قوة هائلة قد استيقظت فى نفسك لأنها تحب الانتقام

ـــ أى قوة ؟

ـــ صوت قوى صارخ كان قد نام

ـــ أى صوت ؟

ـــ ضميرك الذى كنت قد هدمت فيه القوانين

ـــ لقد أعدته إليهم

ـــ من هم ؟

ـــ الذين غرسوه فى نفسى دون وعى منى. ليست هدية التى تأتينى برغمى . ما كان قد نام . إنه مات

ـــ وظل مكانه خالياً ؟

ـ بل امتلأ

ـ بم ؟

ـ إننى لا أحب غير هذه اليد

ـ أى يد ؟

ـ يدى . يدى أنا

ـ ماذا تعنى ؟

ـ كل شىء خاضع للتغير . كذلك أنا . الخطوة الأولى نحو العظمة هى التحرر من هذا الضمير . لقد تخلصت منه . هذا الضمير الذى وجدته من صنع الناس فى نفسى لا من صنعى . ما يبق هذا الضمير على حالة واحدة طالما فى رأسى فكر جديد

ـ لا أفهم

— ضميرى الذى جعل ليمتلىء بخرافات الناس وأوهامهم مات . ما استقر فى مكانه غير الفكر الذى كان يتردد فى رأسى

— لقد امتلأ بخرافات من صنع رأسك الأجوف

— الخرافات التى أدين بها هى الحقيقة

— لو أستطيع أن أسحق تحت قدمى هذا الرأس

— إنه يدنينى منك

— أراك تبتعد

— إننى أدنو بخيال أريد أن أصبه فى حقيقة

— أى خيال ؟

— سأنقشه على قلب. قلب امرأة. القلب الذى فى حنايا هذا الجسد . إننى كنت أحب فيك الثورة والجنون

— والآن ؟
— إن الجنون علمنى العقل
— حسبى ما أنا . إننى ذاهبة
— إلى أين ؟
— أبحث عن قلبى ما دام ليس هنا
— قلبك هنا
— ما أستطيع أن أقضى حياتى على الشاطىء.
إننى لا أحب الخيال . أنا الحقيقة تلمسها
بيديك وتسمعها بأذنيك وتراها بعينيك
— أنت زهرة . أنت زهرة جميلة . ولكنها
تحيط بشهوة جامحة شريرة
— إن كل ذرة فى كيانى تناديك
— ما أريد على شفتيك هذه الكلمات

— لماذا ؟
— إنى أكره السرعة . إنها تنبئنى فيك بالجنون
— إنك تبرر نفسك . لقد خرجت على العرف والدين فعدت تندم
— ليس لى دين
— بل لك دين تركز فى نفسك من مئات السنين . إنه تركة الأجيال العالقة فى قلوبنا
— لى دين ولكن لا كالأديان
— أى دين ؟
— دينى هو أنا
— ماذا تعنى ؟
— إن هى إلا أسماء ورثناها . لقد قلتها بنفسك
— ماذا قلت ؟

••

— إنها تركة الأجيال العالقة فى قلوبنا . ما ورثها
غير العميان

— أى عميان ؟

— الأعمى هو الذى لا يقلب التركة التى يرثها .
إنه يأخذها دون أن يعرف ما هى . كذلك
نحن . إن الدين الحقيق لا يمكن أن يكون
فى هذه التركة

— أين إذن ؟

— فينا . فينا نحن

— لا أفهم

— ديننا الذى بالرغم منا نسير عليه هو ماضينا .
ما أفعالنا إلا هـذا الماضى يتشكل كالماء
بالوعاء الذى ينسكب فيه

ـ أى وعاء؟

ـ وعاء الزمان والمكان فى لحظة الحركة. نحن الماء

ـ ماذا تعنى؟

ـ الدين الحقيق هو مجموعة الأفعال التى تصدر عنا. ديننا فى هذه الأرض هو سلوكنا فيها من يوم كنا. هل تدرين المجرم بماذا يدين؟

ـ بماذا؟

ـ بالجريمة نفسها أثناء ارتكابها. هل تدرين الحاضر مم يتكون؟

ـ لا أدرى

ـ الحاضر بالماضى. كل تغير بما كان. بكل

ما كان . إن كل دقيقة من هـذا الماضى
مسجلة فينا . نحن آلة . نحن آلة دقيقة .
الوجود الذى يحيط بنا هو اليد التى تدير
هذه الآلة . الحواس هى المفتاح الذى
تلعب عليه أصابع هذه اليد . إنها أوهام .
إنها أوهام

ـــ أى أوهام ؟

ـــ ما أرادت علينا شيئاً

ـــ من هى ؟

ـــ نحن أردنا الشرائع على أنفسنا ثم نسبناها إليها

ـــ من هى ؟

ـــ الآلهة . إن هى إلا نحن . لقد شبهناها بنا
حتى فى صفات الشر . إن هى إلا صورتنا
مركزة فينا

قالت فى ثورة : إنك تنسينى ما سعى بى إليك .

ما فى هذا جئت

قال : فيم إذن ؟

ــ فى هذه النار التى تتأجج بين أضلعى

ــ لقد عدت إليها من جديد . لا تلمسينى بها .

إننى أحب النار الباردة

ــ هذا الخداع

ــ لماذا لا تمنحيننى إلا الجسد ؟ إننى تاركه لك

ــ ولو رأيتنى فى أحضان رجل لقتلتنى . ما أنا

سوى الجسد

ــ وأنا أيضاً . ما أنا سوى الجسد . ولكن

يوجد قلب داخل هذا الجسد . وعقل أيضاً

ــ كنت واثقة من هذا

ــ مم ؟
ــ لقد صدفت عنها
ــ من هى ؟
ــ الطبيعة التى كنت تنادى بها . لقد زدت
بى جنوناً عند ما حرمت منى . حتى إذا
أبحتنى لنفسك زهدت فىّ

قال : أنت واهمة . فقط إننى أحب الطريق
الطويل

قالت : ماذا تعنى ؟

قال : ما قلبى وعقلى بمقصيانى عنك . إن هما
إلا من الجسد ولكنهما يخففان من
جنونه . إنهما يدنيانى منك ولكن فى بطء .
إننى لا أحب السرعة . إننى أريد أن يقتلنى

الزمن قبل أن اصل إلى الغاية

ـ لماذا ؟

ـ لأنى أحب الحياة

ـ إنك تناقض نفسك

ـ إننى أعرف أن السرعة دينها القتل . إننى أضن على حبى لك أن ينال منه الموت إن أنا وصلت . إننى أكره الشاطىء . اننى أكره الشاطىء

ـ لماذا؟

ـ إنه كالغاية يشعرنى بالفناء . إن هذا العقل جنون أقوى من الجنون . إن تحت الماء الساكن براكين . إننى لا أريد أن أفتح عينى على لذة ميتة

— ماذا تعنى ؟

— إننى أحب الطريق الطويل . لأنى إذا وصلت ماذا أريد ؟ ما حب العذارى عندى سوى شهوة بطيئة . أنانية هو أقوى من الأنانية . شهوة هو أقوى من الشهوة . هذا هو السر

قالت : فهمت

« لقد رأيته فى . فى أنا . هذه هى الشهوة المجنونة »
« تعود متركزة على جسدى الجميل فآتيها لنفسى »

وقفت تحت جنح الظلام تنظر . ولكن السماء
كانت سوداء قاتمة كقلبها
همت أن تلقى نفسها لتنشد الراحة والهدوء .
ولكنها سمعت همساً خفيفاً : إلى أين أنت ذاهبة ؟
سقطت على الأرض باكية منتحبة . فجلس إليها

يخفف عنها ويقول : اطمئنى يا فتاتى وارفعى بصرك إلى الدنيا

قالت فى يأس : لقد تعبت من النور أريد الظلام . لقد تعبت من الحركة أريد السكون . لقد تعبت من الحياةأريد الموت

قال فى إشفاق : وهذا الجمال يا فتاتى ؟

قالت فى حسرة : لم يعد يعنينى هذا الجمال طالما لا توجد عيون . رأيته وناديته من كل قلبى . ولكنهم حجبونى عنه . تركت الحقيقة . وبحثت فى الخيال . رأيته . ولكنه لم يتجسد أمام عينى، قمت وعلى جفنى دموع خريف يائسة . ونظرت فى المرآة

— ماذا رأيت ؟

ـــ لقد قبلت فيها نفسي
ـــ ماذا تعنين ؟
ـــ في حرارة وجنون عانقت كل ما طالت من أعضاء جسدي شفتاي
ـــ لا أفهم
ـــ لقد رأيته . لقد رأيته
ـــ أين ؟
ـــ فيّ . فيّ أنا . هذه هي الشهوة المجنونة تعود متركزة على جسدي الجميل فآتيها لنفسي
ـــ فما سر حزنك يا فتاتي ؟
ـــ ما أستطيع أن أعيش على الخيال . إننا نتعزّى بالوهم عن الواقع . ما تعنيني العين التي أرى بها نفسي

ـــ وتلك العين التى بها أراك ؟

ـــ أخشى أن تكون خادعة

ـــ ليست خادعة . اقتربى منى

قالت فى اقتضاب : أكرهك

قال : لم تقابلين الحب بالكراهية ؟

ـــ لأنك قاتلى

ـــ ولكنى سأحييك . ارفعى إلىّ بصرك يافتاتى

قالت فى هدوء : فتاتك؟

قال : سأفتح لك قلبى

ـــ وأين يكون قلبك ؟

ـــ فى ساقك الجميلة

رفعت رداءها متأملة : هل هى جميلة حقاً ؟

قال : فى ثديك الناهد

خفضت بصرها فى الأرض وعلى وجهها حمرة خجل ساحرة : هل هو جميل حقاً ؟

قال : فى كل هذا الجسد الجميل

قالت وقد عادت إليها ابتسامة حياة : هل هو جميل حقاً ؟

ــ هو جسد امرأة

قالت وقد أشرق وجهها : لم لا تقترب منى يافتاى ؟

قال فى دهشة : فتاك ؟

ــ سأفتح لك قلبى

قال فى خبث : وأين الكراهية ؟

ــ لم تكن حقيقة

ــ ولكنى أخاف

ــ ماذا ؟

قال : أن أمس بجسدى هذا الجمال . أنت امرأة

لا من الأرض

— هل تمدح ؟

— لا أدرى

— حسبي ما أكون . فبنت السماء خيال بعث

من بنت الأرض

ونظرت إليه وفهم ما تريد ولكنه تردد وقال :

أخشى أن يصبح هذا الجمال بين يدى مادة

بلا روح

ولكنها لم تسمع واقتربت منه فى بطء واستلقت

على الأرض واحتوته فى جسدها الذى كان من نار

وقفت على حافة الهاوية وقد انحدر الظلام على

الأشياء ذاهلة شاردة فى حلم ذهبي سعيد
مر بأذنيها همس : ماذا تفعلين هنا ؟
رددت وهى لا تزال غارقة فى هـذا الحلم :
أحب هذا المكان . هل تدرى ؟

— ماذا ؟

— لقد كسرت المرآة

— أى مرآة؟

— لقد عثرت عليها فى رجل

— أين ؟

— جعلنى أحب النور . أحب الحركة . أحب الحياة . ليست امرأة . ليست امرأة

— من ؟

— من لم تلتق برجل . هل رأيت ؟

— ماذا ؟

دنت منه وارتمت على الأرض واحتوته في أحضانها قائلة :

أن الروح تتجدد في المادة دائماً

« ما هذا بخلود أن تقرأني الأجيال »
« أنت . أنت وحدك طريق الخلود »
« الذي رأيته عند ما فتحت عيني »

فاجأته بقولها : لماذا جئت ؟
قال : عند ما شربت الدواء
ـــ أي دواء ؟
ـــ دواء شفاني من مرض
ـــ أي مرض ؟

ـ إن هذا الجنون لم يكن عبثاً . إنه كان في سبيل غاية . غاية بعيدة

ـ ماذا تعني ؟

ـ إنني كنت أحتال به على الحياة

ـ لا أفهم

ـ إن الحياة الكبيرة لا يمكن أن تخلو من الاسراف . إنني كنت أحب السرعة لأنني كنت أريد أن أكون أكبر حركة

ـ لا أفهم

ـ إن هذا الزمن كفيل بالقضاء علينا . إنني لا أضمنه . ما كان يعنيني أن أتبع الملائكة أو الشياطين . أن أكون في السماء أو في الأرض ماذا يهم طالما أستطيع الوصول

إلى الغاية التى أسعى إليها بكيانى ؟

ــ أى غاية ؟

ــ ما فتحت الأرض واعتليت السماء إلا جرياً وراء خلودى . أمام عينى طريقه كان . ولكنها عمياء كانت هذه العين . إن هذا الماضى الذى جعل اسمى يتردد على شفاه الناس هو أكبر فترة ضاعت من حياتى القصيرة عبثاً

ــ إنك تناقض نفسك

ــ كل عمل وسيلة غايتها الخلود . ما من كائن يريد أن يلحقه الكبر . إنها تريد جميعاً أن تبعث من جديد فتية . إننى أشعر بتعب . إننى أشعر بتعب هائل

ـ ما بك ؟

ـ كأنى بى على كتفى عبء ثقيل

ـ أى عبء ؟

ـ هذا الماضى الذى تقلبت فيه . لقد فتحت عينى . لقد فتحتهما اليوم فقط

ـ ماذا رأيت ؟

ـ إننى كنت أعمل فى جنون كلما دهمنى إحساس بالفناء . إن الموت هو الذى يخلق فينا الحركة دون وعى منا

ـ لا أفهم

ـ ما هذه الحياة الخالدة التى كنت أسعى إليها سوى الموت بعينه . لقد عرفت

ـ ماذا عرفت ؟

ـ إن هذا الماضى كفيل أن يضمن الخلود.
ولكن ليس لى
ـ لمن إذن ؟
ـ إننى لم أر هذا الفرق الهائل إلا اليوم
ـ أى فرق ؟
ـ بينى وبين اسمى . لقد عرفت أنى كنت
سأبقى ولكن فى التاريخ
ـ ماذا تعنى ؟
ـ ما هذا بخلود . ما هذا بخلود أن تقرأنى
الأجيال . ما تحب الكائنات الطفرة . إنها
تحب جميعاً البقاء فى نفس الصورة
ـ أى صورة ؟
ـ التى هى فيها . كذلك أنا . إننى أريد أن

أخلد ولكن لا على قصاصات الورق

ــ أين إذن ؟

ــ لحماً ودماً . لحماً ودماً

ــ كيف ؟

ــ الخلود الآن بين يدى لأن مفتاحه
فى هذا المكان

ــ أين ؟

ــ الطبيعة الآن هى التى تعمل

ــ ماذا تعمل ؟

ــ إنها تخرج ظافرة دائماً . وإذا منيت بالفشل
فانها لا تسكت . إنها تتركنا فى ضلالنا حتى
تنتقم منا

ــ الطبيعة ؟

ـ إنها تنتقم أروع انتقام . لقد خلقت لنا
سبيل الخلود ولكنا نحن العميان
ـ لماذا ؟
ـ ما يحيد بنا عن الصواب غير هذا العقل .
إنه يعمينا عما خطته لنا . إنه آفة . آفة
تقودنا أحياناً إلى التهلكة
ـ ولكن خير الأرض فى هؤلاء المرضى .
بل خير لها أنك لم تتعاط هذا الشراب
ـ ما يعنينى الوهم الذى فات . إننى أبنى
الآن حقيقة
ـ أى حقيقة ؟
ـ إن الأغنام تعطى الراعى أكثر مما تأخذ .
إنها كيما تعيش تعطيه فى النهاية حياتها .

الناس كالعبيد . إن الاشارة التى تجعلهم يهرعون إلى مكان معين لا يمكن أن تنبعث إلا من أنانية هائلة . إنها هى التى بكلمة تقود الألوف إلى الحياة أو إلى الموت تحت إمرة قائد . إن كل هذا الماضى الذى سيخلده لى التاريخ لا يعدو عندى أن يكون ضرباً من ضروب الخيال

— إنك واهم

— خير الانسانية رداء نبرر وراءه أعمالنا . إن هو إلا تبرير باطل للطريق الذى نسلكه . بل ما خلق المنطق إلا لهذا التبرير . هل رأيت ؟

— ماذا ؟

ـ إننى لم أعد فى حاجة إليها تلك الآيات

ـ أى آيات ؟

ـ ما يعمينا غير أحد أعضائنا

ـ أيها ؟

ـ هذا اللسان. إنه آفتنا

ـ لم ؟

ـ لأنه ما ينطق إلا نادراً بالصواب . إنه يجرى دائماً بالأوهام . ونحن سرعان ما نصدقها . ما عثرت على جديد إلا وجدته فى نفسى . ما قرأت إلا عرفت أنى كنت أعرف . حقائق النفس البشرية أصبحت عندى بديهة لا تحتاج إلى بحث ولا تفتقر إلى برهان . إنها خرافات . إنها خرافات

ـ أى خرافات ؟

ـ الفن والعلم والمثل العليا . لقد تبعتها فقادتنى إلى الضلال . إننى أقطع اليد التى خلقتنى يوماً

ـ أى يد ؟

ـ ما كانت تقودنى إلا لفنائى . إننى تركت كل أحلامى بعد أن تحققت فوجدتها باطلة لقد عرفت هذه الحقيقة

ـ أى حقيقة ؟

ـ أنه ليس فينا غير غريزة واحدة

ـ ما هى ؟

ـ إنها كقوة تريد أن تنطلق فى حركة فتجد لها فى كياننا أكثر من طريق واحد . الحقيقة أن الغرائز جميعاً تنبعث من أصل واحد

ـــ أى أصل ؟
ـــ إرادة الحياة . إنها هى السبب
ـــ فيم ؟
ـــ فى أقل حركة تبدر منا . إنها هى التى تجعلنا نحتال على الخلود . إن الكائنات الدنيا لصغر العقل فيها لا تخطىء الطريق أبداً
ـــ أما نحن ؟
ـــ فكثيراً ما نضل الطريق بسبب هذا العقل . إن الشهوة هى أكبر احتيال من إرادة الحياة على البقاء فى نفس الصورة التى نحن فيها . الحرمان هو السبب
ـــ فيم ؟
ـــ إنه هو الذى يجعلنا نضل الطريق . بل ليس هذا فقط

ـ ماذا أيضاً ؟

ـ إن الشعور بالنقص الذى يصحب الحرمان يجعل قوى الكائن تتجه نحو تعويض هذا النقص . ولكنى اليوم فتحت عينى فلم أر إلا شيئاً واحداً

ـ ماذا رأيت ؟

ـ أنت . أنت وحدك طريق الخلود . لقد رأيت أنه ما كان بين آلهتى الاله الذى أنت رمزه

ـ أى إله ؟

ـ لقد تركت الدنيا بما فيها . لن يبقى فى هذا المكان سوى رجل وامرأة

ـ أى رجل وأى امرأة ؟

ــ أنا وأنت . لقد انتصرت . لقد انتصرتِ

ــ علام ؟

ــ على هذه الاتجاهات الشـاذة . إنها كانت دخيلة فى نفسى . لقد اكتسحت فىّ الطبيعة القوية كل العادات المكتسبة التى كنت أطفىء عن طريقها ثورة هذا البركان . اقتربى

ــ إننى أقدم لك ما تتمنى

ــ ماذا ؟

خلعت رداءها وبدت أمامه عارية ودنت منه قائلة :

الإله الذى هزم الآلهة جميعاً . هذا الينبوع

« انى أحب الجمال أينما وجدته »
« ان قلبي ملآن بصور عديدة »
« لكثرة ما فيه كأنى خالى القلب »

صاح بها : حررينى . حررينى
قالت : مم ؟
ــ كأنى بى فى قدمى ثقل من الحديد
ــ ما أرى . إنهما كذراعيك الطليقتين . لماذا
لا تعانقنى ؟

— اغربي عني

ولكنها أحاطته بذراعيها في حرارة

قال : ما كنت أحطم غيرهما

قالت : ذراعاى الجميلان ؟

— إنني أشعر فيهما بالعبودية . إنني أريد أن
أتحرر من هذه القيود

— أى قيود ؟

— التى شعرت فيها بالحرية يوماً . إننى كالسائح
سرعان ما أسأم الاقامة فى المدينة طويلا .
إنني ذاهب

— الى أين ؟

— لقد سئمت الصورة الواحدة المستقرة

— أى صورة ؟

— إننى أحب الفوضى . من الجنون نفهم الحياة . منطق الانسان الضيق يظن أن هذه الفوضى لا نظام . إننى أحس الجمال فيها . إن هى إلا نغم موسيقى . يد الانسان تعمل دائماً على رسم كل شىء داخل حدود .

— ماذا تعنى ؟

— ما أستطيع أن أحصر فيك الجمال . إن أنت إلا صورة واحدة منه . ما أستطيع أن أغمض عينى عن رؤيته فى غيرك . إننى أحبه أينما وجدته . إن قلبى ملآن بصور عديدة . لكثرة ما فيه كأنى خالى القلب

— ألا تريد امرأة واحدة تأخذك منهن جميعاً ؟

— ما من امرأة تستطيع أن تحجب عنى الجمال

فيما عداها . لا أريد . لا أريد . إذن ما الفرق بيني وبين الحيوان ؟

ــ لا فرق

ــ أساسنا واحد . ولكن هناك اختلاف

ــ أى اختلاف ؟

ــ كلما ارتقت الطبيعة بالكائنات كلما تحررت من الوصول إلى غرضها عن طريق واحد

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ما تشبع الكائنات الدنيا غرائزها إلا بطريقة واحدة . كأنها فى ذلك الآلة

ــ أما نحن ؟

ــ فقد ازداد العقل فينا

ــ على أى حساب ؟

ـ لا على حساب الجسد
ـ ماذا إذن ؟
ـ إن كان العقل قد أخذ من الجسد بعض قوته فما هذا سوى الظاهر
ـ أين الحقيقة ؟
ـ الحقيقة أن الجسد هو السيد . العقل هو الخادم
ـ إنك تعكس الآية . ما ارتقت الكائنات إلا تحررت من الجسد وخضعت لحكم العقل فيها
ـ هذه أوهام . ما الجسد سوى مجموعة الغرائز الموروثة عن النوع فينا . إن العقل كلما ارتقى بتطور الكائنات كلما تحرر من سجن

الطريقة الواحدة . إنه هو الذى يخلق
للغريزة الواحدة أكثر من طريق واحد

ـ بل ما اختلافنا عن الحيوان إلا بسيطرة
العقل على أفعالنا

ـ ما نحن سوى الجسد . الغرائز هى التى
تدفعنا إلى الحركة . ولكنها ترتطم دائماً

ـ بماذا؟

ـ هذه البيئة المحيطة بنا فيها ما يمنعنا

ـ مم؟

ـ إن الغريزة كثيراً ما ترتطم بما يحول بينها
وبين الغرض . هنا يبدأ دور العقل . إنه
هو الذى يفسح بالحيلة الطريق فيتركها لها
سهلة معبدة

ـ ألست أنا غرض الغريزة التي يسعى إليها
العقل ؟

ـ لست غاية . أنت وسيلة

ـ ما غرضها ؟

ـ أنت وسيلة البقاء

ـ فما ابتعادك عني ؟

ـ إنني فهمت . إنني فهمت خدعة هائلة

ـ ماذا فهمت ؟

ـ خدعة الطبيعة . إنها تضحك علينا كيما
تصل إلى غرضها

ـ أي غرض ؟

ـ ولكننا نستطيع أن نخدعها أحياناً

ـ كيف ؟

– إننى بالعقل الذى منحتنى إياه استطعت أن
أفهم سرها

– أى سر ؟

– ولكنى حدت عنه . إن المجتمع يغرينا
بالقوانين التى يخلقها لا من أجلنا نحن .
وإنما من أجله هو

– لا أرى الصلة

– إنه يقول امرأة لرجل

– وأنت ؟

– أما أنا فأقول كل النساء لى . لأنى استطعت
أن أتغلب على العادة

– أى عادة ؟

– لذة البقاء داخل حدود . إننى لا أستطيع

أن أركز فيك شهوتى لأنى فى الأرض
أحب النساء جميعاً

— إنك تهدم . تهدم نواة المجموع

— هذه هى نقطة الضعف التى يستغلها المجتمع
فينا كيما يحافظ على حياته هو . إن العقل
الذى منحنى الحرية يأبى . لقد جعلنى أتمرد
على غرض المجموع . بل ليس هذا فقط

— ماذا أيضاً ؟

— إنه جعلنى أتحرر حتى من بعض قوانين
الطبيعة . إن الدافع الذى يحركنا ليس
دائماً الغاية التى ترمى إليها

— ماذا تعنى ؟

— إن الطبيعة لا تعنى بنا . إنها تقول المراة
للرجل كيما تصل

– إلى أين ؟

– إنها تحتال علينا وتغرينا باللذة كيما تصل إلى غرضها هي

– أى غرض ؟

– كذلك أنا . إنها لا تعنيني . الطبيعة تضع محور هذه اللذة فيك

– وأنت ؟

– إن بقاء النوع لا يعنيني . إنني أحتال على اللذة وأكتفي بها دون الغرض الذي ترمي إليه الطبيعة من منحتنا إياها

– ألا ترى هذه اللذة فيّ ؟

– أراها فيك وفي النساء جميعاً

– فما اختلافك عن الحيوان ؟ إنه لا يفرق بين أنثى وأنثى

ـ إن العقل إذا اتسع فى الفرد عاد به إلى الحياة الأولى . إن الاباحة تجعلنى أنبذ المقاييس جميعاً . ولكن هناك فرق . هناك فرق كبير بينى وبين هذه الأحياء

ـ أى فرق ؟

ـ إن هؤلاء الآدميين أقرب إلى الحيوانات منى . إنهم يجهلون خدعة الطبيعة ، لذا هم يحبون الطريق الواحد الذى خلقته لهم كيما تصل إلى غرضها

ـ وأنت ؟

ـ إننى استطعت أيضاً أن أتغلب على العادة

ـ أى عادة ؟

ـ إن إطفاء الشهوة باطلاقها فى حركة على

نحو معين لا يعدو أن يكون عادة موروثة
فى كياننا. لقد استطعت بعقلى أن أخلق.
إنها صورة من صور العبقرية. إننى لا أفتح
عينى إلا رأيت

— ماذا ؟

— أن الشهوة فى نفسى تتردد وتغلى كلما وقعت
على جمال. ما من جمال إلا أحسست معه
بشهوة جارفة تكتسحنى. بل ما رؤيتى
لجمال الطبيعة سوى شهوة منى. إننى لا
أكرس نفسى وأحرقها فى سبيل دين
واحد. أنا الأرض. أنت السماء. ولكنى
ذاهب أبحث عن الجديد

وتركها وسار

« ما تمنيك العروش والتيجان . ما يمنيك »
« الذهب والماس . ما تساوى الأرض »
« عندك إلا الجسد الذى تركته هناك »

دفعها عنه فى قسوة قائلا : ابتعـدى عنى .
ابتعدى عنى
قالت : لماذا إذن جئت ؟
ـ عند ما دنوت منك عرفت حقيقة كانت
خافية عنى

ـ ماذا عرفت ؟

ـ لست امرأة . لست امرأة

ـ ألا ترانى جميلة ؟

ـ ما هذا بجمال

ـ لاشتهيته لو كنت رجلا . ما أظن فى نساء الأرض نظيره

ـ ما أرى فى جسدك الروح

ـ عمياء تلك العين . إن لكل عضو فيه شفتين

ـ لا أسمع . كأنى به قطعة من الصخر لا تنطق

ـ صماء تلك الأذن

ـ إن بغض العالم ينفجر فى نفسى كلما وقع عليك بصرى

ـ وقد كنت تحبنى كمعبود

ـ ما أحببت فى حياتى سوى الواقع . وما
أردت أن ألمس سوى الحقيقة
ـ ألا ترانى حقيقة ؟
ـ ما أراك امرأة إلا فى خيال الشعراء . لقد
كرهت الشعر . لقد كرهته
ـ لقد صدفت عنى فعدت إلى الفلسفة تبرر
بها نفسك
ـ أنت واهمة
ـ لماذا إذن تبتعد ؟
ـ ليس فى جسدك روح . لقد فقدت كل
شىء . إننى أحس ببرودة تسرى منك إلىّ
ـ ما قيل إلا أننى جحيم
ـ جحيم لا يشتعل كأنه صحراء من الجليد .

ما أنت امرأة . ما أنت امرأة

ـ إنك امرأة بلغ الجنون جمالها

ـ هذه أوهام . اليوم فقط عرفت

ـ ماذا عرفت ؟

ـ أننا نحن نخلق الجمال . أننا نحن نعطى المعانى للأشياء . ما وجدت الحياة فى ذهن الوليد إلا صورة مجردة . إنه هو الذى كلما مر به الزمن يعطيها اللون

ـ ماذا تعنى ؟

ـ كل الأرض ترى فى هذا الجسد جمالك . أما أنا فلا

ـ أين إذن ؟

ـ إنى أكرهه بقدر حبى لك . ما أبحث إلا

عنك فى كل مكان تقودنى إليه قدماى

ــ هأنا

ــ اقتربى منى . اقتربى منى

دنت منه وأحاطته بذراعيها

قال : هل أحسست ؟

قالت : ماذا ؟

ــ إنك عمياء . إنك عميـاء . تلك أعضائى
الباردة كالثلج

نظرت إليه فى ارتياب

قال : ما أكون بعقلى بقدر ما أكون اليوم .
ما أحبك فى هذا المكان ما أراك هنا .
ما أراك هنا

قالت : أين إذن ؟

ــ إن كنت أنت الشرق ففى الغرب

ــ ماذا تعنى ؟

ــ ما من امرأة تلمس جسدى حتى تحس هذه البرودة فى أعضائى إلا وتذهب بعيدة عنى

ــ وقد كنت تقول إنى أنا صحراء من الجليد

ــ لست امرأة أو لست رجلا . الحقيقة أنى أنا الذى تغيرت . ما أنا برجل . ما أنا برجل

ــ ماذا تكون ؟

ــ ماذا كنت تنتظرين منى ؟

ــ لا شىء . كنت أنتظرك لنفسك

ــ أنت واهمة

ــ لِمَ إذن ؟

ــ ما انتظرت فىَّ إلا الجسد . ها قد جئت . ولكنى تركته هناك

— بماذا جئت ؟

— ما تعنيك العروش والتيجان . ما يعنيك الذهب والماس. ما تساوى الأرض عندك إلا الجسد الذى تركته هناك . إننى لا أريد أن أبرر نفسى هذه المرة . ما أبتعد عنك لترفعى عن الجسد وتحررى منه

— لماذا إذن ؟

— إنها أوهام . أوهام يخلقها العجز

— أى عجز ؟

— إننى عاجز . عاجز عن قربك لأنى لا أراك فيك

— ترانى فى الغرب ؟

— حيث تركت جسدى

— ماذا تعنى ؟

— الشهوة كالنبع ينحدر منه الماء إلى المجرى .
أنت المجرى الطبيعى الذى خلق للرجل .
عند ما حجبتنى عنك أوضاع الاجتماع
تدفق الماء وسلك طريقاً آخر

— أى طريق ؟

— إن الغريزة لا تعدم وسيلة تصل بها إلى
غرضها ما التجأت إلى هذا السبيل إلا
عند ما شعرت بالحرمان من هذا
الطريق عرفت

— ماذا عرفت ؟

— لقد حرمتنى أوضاع الاجتماع من هـذه
اللذة فى مجراها الطبيعى . إن الطاقة التى ١

كانت فى نفسى تتردد كأنها غاز فى غرفة ضيقة لا بد أن تنطلق فى شكل من الأشكال . أنت المفتاح الطبيعى الذى يفتح هذه الغرفة الموصدة . لقد حرمت من المرأة فبدأ عقلى يفكر دون وعى منى .

ها هى . ها هى

— أين ؟

— ليست فى امرأة . لقد رأيتها فى رجل . ما هو بامرأة . ماهو بامرأة . ولكنى خلقتها فيه . لقد تكونت فى قناة جديدة

— أى قناة ؟

— امرأة كاملة أنت . بل هى الخيال الذى كان يأتينى كلما وجدت بين ذراعى جسداً أطفىء

فيه شهوتى . المرأة التى كنت إليها أنزع بكل ذرة فى كيانى ترمى نفسها الآن بين ذراعى . ولكنى أحس ببرودة فى أعضائها . لقد فقدت كل حرارة تخيلتها فيها . الطبيعة الآن تنتقم

— ممن ؟

— إن القناة الجديدة التى تكونت فى اكتسحت المجرى الطبيعى لأنها اتسعت وأصبحت أقل مقاومة بفعل العادة والتكرار. عبثاً حاولت أن أعود إليك. لقد امتنع على المجرى الطبيعى لأنه ضيق شديد المقاومة . ما أحببت فى هذا المكان سواك . ومع هذا فها أنت بين يدى ولكنى لا أستطيع

معك شيئاً . إنى ضحية . إنى ضحية

قالت : ضحية ماذا ؟

قال : ضحية هذا المجتمع

وتركها وسار

« ليس هناك ذات مطلقة . فى كل ما نحسه كل شىء »
« هو نحن وهو فى نفس الوقت . هل أنا أنا . »
« هل أنت أنت . كل شىء هو وليس هو »

أسرعت إليه الخطى قائلة : هذا أنت أخيراً بعد
أن بحثت بغير جدوى عنك . شيخ تنطلق من
ذقنه لحية طويلة تمس الأرض مساً
أفاق إليها قائلا : من أنت ؟
قالت : كأنى بك لا تعرفنى

قال : اذهبي عني ولا تعطلي على بحثي بحديث فارغ
— عم تبحث ؟
— وجدت في يدي كرة جعلت أنزع عنها كل يوم قشرة فأرى التي تحتها أشف وأرق .
هذه هي سر الكون بين يدي ومازلت عنه أبعد ما أكون
— كدت يا حبيبي تنساني
— كل شيء أثر فيّ موجود فيّ . فقط الذاكرة هي العاجزة . حكمة البشرية موجودة فينا ولكننا لا نعرف . أنا أبحث عن نفسي في نفسي. ما أرى إلا طيفا
— أنا هو . هو أنا
— أراك في الماضي ظلا خفيفاً لم يستقر .
ماذا تريدين؟

ــ لقد بحثت عنك حتى اهتديت إليك
ــ لقد اهتديت إلى هذه العظام . إنني ميت .
إنني ميت . أحدنا لا يفهم الآخر
ــ ستعود معى . ستعود معى . تتمتع بهذا الجمال
ــ هل لأى شىء جمال ذاتى كائن مستقل عن
نفسى ؟
ــ عد لترى هذا الجمال . أنا جميلة . بكلمة منك
تمتلك هذا الجمال
ــ إننى أبحث عن الحقيقة
ــ حقيقة الوجود جميلة
ــ شىء نسبى هذا الجمال . إنها ظواهر لم أعد
أحفل بها
ــ ظاهر جميل لا يمكن أن ينبعث إلا من

حقيقة جميلة . الاختلاف بين أجزاء
الحقيقة وما يقابلها فى الصورة يأتى بحساب
دقيق متناسب . هذا هو السر فى إحساسنا
بالجمال رغم أننا لا نرى حقيقة الأشياء.
الحياة جميلة . أنا جميلة . لقد كنت
تقول لى ذلك

ـ هذه الصور العديدة التى امتلأت بها . إن
هى إلا صور مصغرة لهذا الوجود. هذا
الكل صورته فى من ارتباط هذه الصور.
أنا فكر الله . نحن فكر الله . إننى أبحث
كيف فكر الله فصارت الأشياء

قالت : لن تصل

ـ سأعود فى نفسى إلى الوراء لأبحث فيها

كيف كنت. إنى لاأستطيع أن أجد شيئاً
غير نفسى

ـ أنت ضال . أنت ضال

ـ الأجيال فى نفسى بعضها فوق بعض طبقات.
سأعود إلى الوراء فى أعماق هذه العمارة
الشاهقة . لقد مات كل شىء يربطنى بك .
مات جسدى . مات قلبى

ـ وعقلك ؟

ـ حتى إذا انتهيت إلى الحقيقة زالت البقية
الباقية من هذا العقل . إننى أبحث فى نفسى
لأنى لو عرفتها عرفت الله . أنا ذاهب

ـ إلى أين ؟

ـ أواصل رحلتى إلى الماضى

ـ بل ستبقى. لا يفصلنى عنك غير خطوة واحدة
ـ ولكنى لا أستطيع أن أخطوها
ـ أخطوها أنا إذن
ـ خير لك البقاء كما أنت من الجسد والقلب والعقل كيان كامل. فى هذه الأرض يوجد من يحب هذا الجمال
ـ وأنت؟
ـ عسيرة تلك الخطوة التى تفصلنى عنك. إنما سرت إلى هذه النهاية لا لأنى أردت
ـ لقد اجتزت الطريق بقدميك
ـ لو أتيح العقل للجماد لاعتقد أنه هو الذى يريد. ليس هناك إرادة. الماء سجين. سجين الشواطىء. كذلك أنا

— اى شواطىء؟

— وسجين نفسى ايضاً . خطوة واحدة تفصلنى عنك . ولكنها كل شىء

— أنا منك. من هذا الجسد. من هذا القلب.من هذا العقل. أنا ضلع من هـذه الضلوع. تستطيع بى كل شىء. ولكن لا تتركنى

— لا أستطيع أن أحور فى هذا الكل المتسق. لقد فقدت توازنى كأنسان

— لقد تعبت من تصنع الجمود وعدم الاكتراث . قل لى أنك تحبنى . قل لى أنك ستبقى معى

— سأبقى ولكن ليس هنا

— وأنا؟

— يوجد فى الأرض من يحب هذا الجمال

— ولكنى أحبك . هذه دموعى تنطلق برغمى. تنكرنى وتنكر نفسك . إنك تحبنى . أرى فى عينيك. مسكين أنت . مسكين أنت . بل أنا المسكينة انا . الحياة كالحلم تمضى سريعاً . كل شىء لى هو أنت . من الحب تعرف كل شىء . أنا أفتح بأناملى الرقيقة نوافذ قلبك الموصدة على كنوز المعرفة

— هذه ظواهر لم أعد أحفل بها

— الحقيقة بين يديك فى هذه الكرة

— لم أر بعد فيها شيئاً

— لن تصل إذن

— إننى ذاهب أواصل رحلتى إلى الماضى

– أنت مجنون

– أنا مجنون. أنت مجنونة. كلانا مجنون. حتى هذه الألفاظ التى أنطق بها لم تعد تعجبنى. أنا وأنت وهو. ما الفرق؟ منطق واحد قانون الجميع حتى هـذه الصخور الصلدة. أنا أبحث عن الواحد فى نفسى

– أنت ميت. أنت ميت.

– من يدرى؟ حياة أخرى قد تكون هناك. بل فى الشمس الملتهبة حياة وسط النيران تكون. إننى أغمض عينى ولكنى أرى. ما أنا بانسان. ما أنا بانسان. تمر على فترات فيها لا أحس ولى حواس كأقوى ما تكون. عالم واسع أحسه داخل نفسى. كنوز

زاخرة أنقب فيها كأنها آثار تحت الرمال.
ما يبدو لى هذا الفضاء فضاء

– ستبقى إلى جانبى ستبقى

– بل هل أنا موجود ؟

– موجود أنت لأنك ترانى

– تمر علىّ فترات أتلمس فيها أعضائى حتى أجدها

– إنك تلمسنى

– لا أدرى . لا أدرى . لا دليل مقنع إلا على أساس إنكار كل شىء حتى البديهة . إذا كان الحس دليل الوجود فما هو إلا أنا . أنا هو كل شىء لأنى الآله التى تصور هذه الأشياء . وهم وهم تخلقه الحواس . كم من

صورة للوجود بقدر ما فيه من كائنات حية. كل صورة تختلف عن الأخرى برغم أنها صور لكلٍ واحد. إن هى إلا صور زائفة. ليس هناك ذات مطلقة. فى كل ما نحسه كل شىء هو نحن وهو فى نفس الوقت. هل أنا أنا؟ هل أنت أنت؟ كل شىء هو وليس هو لأن للكائن الواحد صورا عديدة بقدر ما فى الوجود من كائنات تقع تحت تأثير هذا الكائن. إحدى هذه الصور قد يكون العدم. فعند ما لا يرى الأعمى فلا لون. لقد تعبت. لقد تعبت. ألفاظ إنسان أتكلم بها أحس أنها غريبة عنى. إننى

ذاهب أواصل رحلتى إلى الماضى

دخل عليها قائلا : هل تذكرين ؟

قالت : ماذا ؟

– كرة وجدتها بين يدى

– قيل لك إن الحقيقة بداخلها فرحت
تنزع عنها كل يوم قشرة فترى التى تحتها
أشف وأرق

– أعيانى فيها البحث حتى إذا التقيت بعصاة
ضربتها بها فتطايرت أجزاؤها إلا نواة
صغيرة من البلور نظرت خلالها فلم ار شيئاً

– بل رأيت

– ماذا ؟

– ما رأيت بعين عارية فعدت إلى الأرض
من الباب الذى خرجت منه

– هنا مأوى الرجل

– أين ؟

خلعت رداءها ودنت منه قائلة :

فى هذ المكان

تم طبع « الكتاب المنبوذ »
بمطبعة مجلتى بشارع الداخلية
بالقاهرة تليفون ٥٥٤٠٠
فى يوم الخميس ٦ أغسطس
١٩٣٦